OPEN ACCESS DOLJ
مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://algurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

من العقلانيـــــة التواصـــلية إلى أخلاقيـــات الاعـــــتراف ـ في أفق التجاوز النقدي عند هابرماس وهونيث

أ. انتصار امحمد المقطـــوف الغـــويل*
باحثة أكاديمية ـ قسم الفلسفة والدارسات الإسلامية . شعبة الفلسفة. الأكاديمية الليبية للدراسات العليا
Ommohamed7822@icloud.com
https://orcid.org/0009-0005-5287-2665
تاريخ الاستلام 5 / 6/ 2026م تاريخ القبول3 / 7/ 2026م

From communicative rationality to the ethics of recognition - in the horizon of critical transcendence in Habermas and Honneth A. Intisar Muhammad Al-Maqtouf Al-Ghuwail*

Academic researcher - Department of Philosophy and Islamic Studies, Philosophy Division, Libyan Academy for Graduate Studie

Abstract
This paper addresses one of the most significant problematics in contemporary social philosophy: the transition from the model of communicative rationality established by Jürgen Habermas to the theory of recognition developed by his successor Axel Honneth, representative of the third generation of the Frankfurt School. The study seeks to uncover the nature of the relationship between these two philosophical projects: does Honneth represent an extension and deepening of Habermas's project, or does he constitute an epistemic rupture and a genuine critical transcendence? The paper draws on the works of Arab philosopher Al-Nasser Abdellawy, who contributed to diagnosing the limits and horizons of communicative rationality in the Arab context. The study concludes that the theory of recognition does not reject communicative rationality but rather completes and corrects it by restoring the emotional and conflictual

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

dimensions in the formation of identity and the construction of social justice.

Keywords: Communicative Rationality – Ethics of Recognition – Frankfurt School – Jürgen Habermas – Axel Honneth – Al-Nasser Abdellawy – Social Justice – Critical Theory

المُلخـــــــــــص :

تتناول هذه المقالة إحدى أبرز الإشكاليات في الفلسفة الاجتماعية المعاصرة، وهي مسألة الانتقال من نموذج العقلانية التواصلية الذي أرسى دعائمه المفكر الألماني يورغن هابرماس، إلى نظرية الاعتراف التي طوّرها تلميذه وخلفه في الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت أكسيل هونيث. وتسعى الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين هذين المشروعين الفلسفيين: هل يمثّل هونيث امتداداً وتعميقاً لمشروع هابرماس، أم أنه يُشكّل قطيعة معرفية وتجاوزاً نقدياً حقيقياً؟ وتستند المقالة في ذلك إلى أعمال المفكر العربي الناصر عبداللاوي الذي أسهم في تشخيص حدود العقلانية التواصلية وآفاقها في السياق العربي، مُقدِّماً قراءةً فلسفيةً ناقدةً تتجاوز مجرد الاستقبال والنقل إلى مستوى الإضافة والابتكار. وتخلص الدراسة إلى أن نظرية الاعتراف لا ترفض العقلانية التواصلية، بل تستكملها وتصحّحها من خلال إعادة الاعتبار للبُعد العاطفي والصراعي في تشكيل الهوية وصناعة العدالة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: العقلانية التواصلية ـ أخلاقيات الاعتراف ـ مدرسة فرانكفورت ـ يورغن هابرماس ـ أكسيل هونيث ـ الناصر عبداللاوي ـ الفعل التواصلي ـ الصراع من أجل الاعتراف ـ العدالة الاجتماعية ـ النقد الاجتماعي

المقدمـــــــــــة:

يُعدّ التحول من العقلانية الأذاتية إلى العقلانية التواصلية من أبرز المنعطفات الكبرى في مسار الفلسفة الاجتماعية المعاصرة؛ إذ سعى يورغن هابرماس إلى إعادة صياغة مفهوم العقل على أُسُسٍ تفاعلية تجعل من التفاهم هدفاً أصيلاً للفعل الإنساني، بعيداً عن نموذج الهيمنة الذي ولّدته الحداثة التقنية الأداتية. وقد شكّل هذا المشروع الطموح نقلةً نوعيةً في الفكر النقدي، مُحوِّلاً مركز الثقل من بنية الذات الفردية إلى بنية التفاعل التواصلي بين الذوات.

غير أن هذا المشروع، على الرغم من عمقه وأصالته، لم يكن بمنأى عن النقد الداخلي من داخل مدرسة فرانكفورت ذاتها. فقد كشف أكسيل هونيث، ممثّل الجيل الثالث لهذه المدرسة، عن ثغراتٍ جوهرية في نموذج هابرماس، مرتكزاً على فكرة الاعتراف بوصفها المفتاح المعياري لفهم الهوية والعدالة والصراع الاجتماعي. ورأى

هونيـث أن التركيـز الهابرماسـي علـى التفـاهم اللغـوي يتغافـل عـن البعـد العـاطفي والرمزي الذي يُؤثّر في صياغة الوعي الفردي والجماعي على حدٍّ سواء.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية الإسهام العربي، ولا سيما جهود المفكر الناصر عبداللاوي الذي تنـاول هـذه الإشـكاليات بعمـق مـن منظـور نقـدي عربـي، مُحـاوِراً هابرماس وهونيث معاً، ومُسائِلاً إمكانية توظيف هذه الأُطُر النظرية الغربيـة فـي فهم التحولات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي.

تنطلق هـذه المقالـة مـن هـذه المعطيـات الفكريـة لتُعيـد قـراءة العلاقـة بـين العقلانيـة التواصلية وأخلاقيات الاعتراف في ضوء نقد الناصر عبداللاوي، ساعيةً إلـى الإجابـة عن السؤال الجوهري: هل يمثـل هونيـث تجـاوزاً حقيقيـاً لهابرمـاس، أم أنـه يظـل فـي دائرة الاستمرارية النقدية؟

أولاً ـ الإشكالية البحثية وتساؤلاتها :

تدور الإشكالية المركزية لهذا البحث حـول السـؤال الآتـي: هـل يُشـكّل تصـور أكسـيل هونيث للاعتراف الاجتماعي تجاوزاً نقدياً حقيقياً للعقلانية التواصـلية الهابرماسـية، أم أنه لا يعدو كونه تطويراً داخليـاً ومكمِّـلاً لهـا؟ وتتفـرع عـن هـذه الإشـكالية جملـة مـن التساؤلات الفرعية يمكن صياغتها على النحو التالي:

ـ ما الأُسُس الفلسفية التي يرتكز عليها كلٌّ من مشروع هابرماس التواصلي ومشـروع هونيث الاعترافي؟

ـ فـي أيٍّ مـن الجوانـب تكشـف نظريـة الاعتـراف عـن قصـور العقلانيـة التواصـلية وحدودها المعرفية؟

ـ كيف يتعامل المفكر العربي الناصـر عبـداللاوي مـع هـذه الإشـكالية فـي سـياق نقـده للعقلانية التواصلية؟

ـ مـا الآفـاق التـي تفتحهـا نظريـة الاعتـراف أمـام تأسـيس أخـلاق اجتماعيـة تضـمن الكرامة الإنسانية في الأبعاد القانونية والعاطفية والتضامنية؟

ـ هل يمكن توظيف هذه الأُطُر النظرية في قراءة الواقع العربي المعاصر ومـا يشـهده من صراعات على الهوية والاعتراف؟

ثانياً ـ أهداف البحث:

الهدف العام:

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء تحليل فلسفي مقارن ونقدي للعلاقة بين نظريتَي العقلانية التواصلية والاعتراف الاجتماعي في الفلسفة النقدية المعاصرة، مع

استحضار القراءة الفلسفية العربية لهذا الجدل الفكري.

الأهداف الخاصة:

ـ عرض وتحليل المرتكزات النظرية لمشروع العقلانية التواصلية عند يورغن هابرماس، ومساءلة قدرته على تفسير الصراعات الاجتماعية.

ـ الكشف عن أوجه النقد الداخلي الذي وجّهه أكسيل هونيث لهابرماس، وتقييم دواعي هذا النقد وحدوده.

ـ تتبّع التطور الفلسفي في مفهوم الاعتراف من هيغل إلى هونيث، وبيان الإضافة التي يُقدّمها هونيث في هذا السياق.

ـ إبراز دور الناصر عبداللاوي في تلقّي هذه النظريات وتمحيصها ونقدها من موقع الفكر العربي.

ـ استجلاء الأُفُق المعياري والأخلاقي الذي تفتحه نظرية الاعتراف لتصور مفهوم العدالة الاجتماعية.

ثالثاً ـ أهمية البحث:

الأهمية النظريـــــة: تتجلى الأهمية النظرية لهذا البحث في كونه يُعالج إشكاليةً مركزيةً في الفلسفة الاجتماعية المعاصرة، لم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسة في السياق الفلسفي العربي. كما يُسهم في تعميق فهم العلاقة الديناميكية بين أجيال مدرسة فرانكفورت ومدى استمرارية المشروع النقدي أو تحوّله. فضلاً عن ذلك، يُقدّم البحث نموذجاً للحوار الفلسفي بين الفكر النقدي الغربي والفكر الفلسفي العربي المعاصر.

الأهمية التطبيقيـــة: تكتسب هذه الدراسة أهميةً تطبيقيةً من كونها تُتيح أدواتٍ نظريةً لفهم الحركات الاجتماعية العربية المعاصرة التي تُطالب بالاعتراف والكرامة والعدالة. كما توفّر إطاراً فلسفياً لقراءة إشكاليات الهوية والانتماء في المجتمعات العربية في ضوء منظومة أخلاقيات الاعتراف.

رابعاً ــ المنهج البحثي:

تعتمد هذه الدراسة مناهج بحثية متكاملة ومتنوعة تستجيب لطبيعة موضوعها الفلسفي المركّب:

ــ **المنهج التاريخي التتبّعي:** لرصد تطور المفاهيم الفلسفية الأساسية كالعقل والتواصل والاعتراف عبر مساراتها التاريخية من هيغل إلى هابرماس إلى هونيث.

ــ **المنهج التحليلي النقدي**: لتفكيك البنى المفاهيمية لكلٍّ من النظريتين وكشف مسلّماتهما الضمنية ومحدوديتهما.

ـ **المنهج المقارن:** للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف والتكامل بين مشروع هابرماس ومشروع هونيث.

ـ **منهج الحوار الفلسفي:** لاستحضار الموقف الفلسفي العربي المتمثل في أعمال الناصر عبداللاوي وإدراجه في سياق النقاش الدولي.

المبحث الأول ــ العقلانية التواصلية – بنية المشروع ومرتكزاته:

1.1 من العقل الأذاتي إلى العقل التواصلي:

جاء مشروع العقلانية التواصلية استجابةً حاسمة لأزمة العقل في الحداثة الغربية؛ فقد رصد هابرماس كيف أُفضيَ التطور التقني والاقتصادي للرأسمالية المتأخرة إلى هيمنة ما أسماه بـ«العقل الأداتي»، أي ذلك العقل الذي يختزل التفكير في المنطق الكفاءوي والحسابي على حساب البُعد القيمي والأخلاقي. وكانت مدرسة فرانكفورت في جيلها الأول، ممثَّلةً في ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، قد وثّقت هذا الانزياح في كتابهما التأسيسي «جدلية التنوير»، بيد أنها انتهت إلى موقف تشاؤمي مسدود الأفق.(1)

أما هابرماس فقد رفض هذا التشاؤم الجذري وسعى إلى اكتشاف إمكانات عقلانية لم تستنفد بعد. فأعاد توجيه المشروع النقدي من نقد الأداة إلى تأسيس العقل من جديد على أسس تواصلية تنطلق من اللغة وممارسات الكلام المشتركة. فالعقل، في نظر هابرماس، ليس فقط ملكة الإدراك الفردي، بل هو في صميمه ظاهرة تواصلية جماعية تتجلى في القدرة على التفاهم والتبرير المتبادل.(2)

1.2 مرتكزات نظرية الفعل التواصلي:

يرتكز مشروع هابرماس في نظرية الفعل التواصلي على جملة من الأطروحات الفلسفية المتشابكة:

أولاً: التمييز بين أنماط الفعل الاجتماعي، حيث يُفرّق هابرماس بين الفعل الأداتي الذي يستهدف النجاعة والسيطرة، وبين الفعل التواصلي الذي يستهدف التفاهم. وهذان النمطان يقابلان بنيتين اجتماعيتين مختلفتين: «النسق» الذي يخضع لمنطق الكفاءة، و«العالم المعيش» الذي يُؤسَّس على الفهم المشترك والتوافق القيمي.

ثانياً: نظرية أفعال الكلام، وفيها يُطوّر هابرماس بشكل إبداعي إسهامات جون أوستن وجون سيرل، مُؤسِّساً نظرية في التداوليات الكونية تُميّز بين الادعاءات الثلاثة الكبرى التي يُثيرها كل ملفوظ تواصلي: صدق القضية، وصواب الموقف الأخلاقي، وصدق المتحدث.(3)

ثالثاً: الوضعية المثالية للكلام (Ideal Speech Situation)، وهي شروط المثال

الضابطة للحوار الحقيقي، التي تفترض المساواة بين المتحاورين، وخلـوّ النقـاش مـن الإكراه والهيمنة، وامتلاك كل طرف حق رفع مطالبات مضادة.(4)

1.3 الأبعاد المعيارية والأخلاقية للمشروع:

تمتد آثار العقلانية التواصلية من نظرية الفعل الاجتمـاعي إلـى الفلسـفة الأخلاقيـة والسياسية؛ إذ يُطوّر هابرماس على أساسها أخلاقيات النقاش (Diskursethik) التـي ترى أن الأحكام الأخلاقية الصحيحة هي تلك التي يمكن إثبات صـلاحيتها الكونيـة مـن خلال إجراءات تداولية مفتوحة لجميع المتـأثرين بهـا. ومـن ثَـمَّ، تتحـول الأخـلاق مـن نظام قِيَمِي موروث إلى إجراء تشاركي يُخضِع المبادئ لمحك الاختبار العام.(5)

وقد استلهم هابرماس في هذا المستوى تراثاً كانطياً عميقاً، إذ يُبقـي علـى مبـدأ الكونيـة كمعيار أخلاقي، غير أنه يُحوّله من ديناميكية الإرادة الفرديـة الخالصـة إلـى ديناميكيـة الإرادة التداولية المشتركة. وهنا يتجاوز هابرمـاس مـأزق الأنانيـة الأخلاقيـة الكانطيـة دون أن يتنازل عن مطلب الكونية.

المبحث الثاني ـ حدود العقلانية التواصلية – النقد الداخلي:

2.1 الطابع الإجرائي المجرد ومسألة المضمون:

أول المآخذ الجوهرية على العقلانية التواصلية هو مـا يمكـن تسـميته بــ«الشكلانية الإجرائية»؛ إذ تُركّز النظرية على شـــروط الحوار وإجراءاته، متغافلةً عن المضمون الأخلاقي والاجتماعي لما ينبغي أن يُعترف به. فهابرماس لا يُقدّم لنا فلسفة حيـاة جيـدة أو تصوراً للازدهار الإنساني، بل يُقدّم إجراءً للتحقق من صحة الادعاءات الأخلاقيـة، وهو ما يجعل نظريته عرضةً للانفصال عن الشـروط الاجتماعيـة والتاريخيـة الفعليـة التي يعيشها البشر.(6) ، وقد كان الناصر عبداللاوي من أبرز من نبّهوا إلى هذه الثغرة في السياق الفلسفي العربي، إذ بيّن في كتابه «الأخلاق والقانون في تفكيـر هابرمـاس» أن نظرية أخلاقيات النقاش تفتقر إلى أرضية واقعية راسخة حين تُهمِل التباين البنيـوي في الموارد الخطابيـة والقُدُرات التفاوضـية بـين مختلـف الفـاعلين الاجتمـاعيين، ممـا يجعلها في مآلاتها خطاباً نخبوياً لا يعكس تنوع العوالم المعيشية.(7)

2.2 إهمال البعد العاطفي وتجريد الفاعل

ثانيـة الإشـكاليات المُوجَّهـة إلـى هابرمـاس تتعلـق بتصـوّره للفاعـل الاجتمـاعي؛ فالعقلانية التواصلية تنطلق ضمنياً من فاعل أقرب إلـى المثـال الكـانطي: عاقـل، بعيـد المسافة عن انفعالاته، قادر على التجرد من الأهواء والتحيزات لصالح العقل الخالص. غير أن هذا التجريد يتنـاقض مـع مـا تكشـفه العلـوم النفسـية والسوسـيولوجية مـن أن

الفاعلين الاجتماعيين تُؤثّر في تصوراتهم ومواقفهم دوافع عاطفية عميقة كالرغبة في الانتماء والخوف من الإقصاء والغضب من الإهانة والحاجة إلى التقدير.(8)

وقد استحضر الناصر عبداللاوي هذا الجانب بشكل لافت في كتابه : « نحو إتيقا تحررية» حين دعا إلى أخلاق تنزل إلى أعماق « العالم المعيش» بكل ثقله الوجودي والعاطفي، بدلاً من الاكتفاء بمعالجة الجانب الإجرائي الرسمي للتواصل. فالتحرر الحقيقي، في نظره، لا يتحقق بالحوار المجرد وحده، بل يشترط الاعتراف بكامل الطاقات الإنسانية، بما فيها العاطفية والرمزية والروحية.(9)

2.3 ضعف القدرة التفسيرية للصراع الاجتماعي:

ثالث نقاط الضعف في مشروع هابرماس يتعلق بإشكالية الصراع الاجتماعي؛ فنظرية الفعل التواصلي مبنيةٌ أساساً على منطق التوافق والتفاهم، وهو منطق يفترض سلفاً إمكانية الوصول إلى وفاق عقلاني مُلزِم. بيد أن الواقع التاريخي والسوسيولوجي يُبيّن أن المجتمعات تتطور في كثير من الأحيان لا من خلال الحوار المدني الرشيد، بل من خلال صراعات ونزاعات حادة تكون المطالب فيها متناقضة في الجوهر.(10)

وهنا يتضح أن العقلانية التواصلية تفتقر إلى آليات نظرية متطورة لفهم كيفية تحوّل هذه الصراعات إلى محرّكات للتقدم الأخلاقي والاجتماعي. وهو الفراغ الذي جاء هونيث ليملأه بمفهوم «الصراع من أجل الاعتراف».

المبحث الثالث ـ نظرية الاعتراف عند هونيث – الأُسُس والبنية:

3.1 الإرث الهيغلي وإعادة التأسيس:

لفهم مشروع هونيث الفلسفي في عمقه، لا بد من العودة إلى جذوره الهيغلية؛ فهونيث يستلهم جدليةَ هيغل في الاعتراف، ولا سيما كما تتجلى في «فينومينولوجيا الروح»، ليُعيد صياغتها في سياق العلوم الاجتماعية التجريبية المعاصرة. فبينما يُقدّم هيغل الاعتراف بوصفه لحظةً ميتافيزيقيةً في تطور الروح المطلق، ينزل هونيث بهذا المفهوم إلى مستوى السوسيولوجيا التجريبية والنفسية الاجتماعية.(11)

وتُشكّل أعمال الفيلسوف الأمريكي جورج هربرت ميد حجرَ الزاوية في هذا التجسير؛ إذ يجد هونيث في نظرية ميد في اكتساب الهوية من خلال التفاعل الرمزي دليلاً تجريبياً على الأطروحة الهيغلية القائلة بأن الوعي بالذات لا يتشكّل إلا من خلال الاعتراف المتبادل. وهكذا تتأسس نظرية هونيث على هذا التقاطع المثمر بين الفلسفة الكلاسيكية وعلم النفس الاجتماعي.(12)

3.2 دوائر الاعـــــتراف الثلاث:

يُميّز هونيث في تحليله لبنية الاعتراف الاجتماعي بين ثلاث دوائر متمايزة ومتكاملة

في الآن ذاته، كل منها تُؤسّس نوعاً خاصاً من الثقة وتُهدَّد بشكل خاص من الانتهاك:

أولاً ـ دائرة الحب والعلاقات العاطفية الأولية:

تُمثّل دائرة الحب البنية الأولى للاعتراف الاجتماعي؛ وتشمل جميع علاقات التعلق العاطفي الأولي كعلاقات الأم والطفل والصداقة الحميمة والعلاقة الزوجية. وتُشكّل هذه الدائرة الأساس الوجداني لتطور الشخصية، إذ يكتسب الفرد من خلالها «الثقة بالذات» (Selbstvertrauen) التي تُعدّ الشرط النفسي الضروري للمشاركة المستقلة في الحياة الاجتماعية. وحين تنهار هذه الدائرة، يتعرض الفرد لما يُسميه هونيث «انتهاك الجسد» (13).(Misshandlung)

ثانياً ـ دائرة الحقوق والاعتراف القانوني:

تُمثّل دائرة الحقوق المستوى الثاني من الاعتراف، وهي تتعلق بامتلاك الفرد للصفة القانونية التي تجعله مواطناً مكتمل الأهلية يحمل حقوقاً مدنية وسياسية واجتماعية. ومن خلال هذه الدائرة يُطوّر الفرد ما يُسميه هونيث «احترام الذات» (Selbstachtung)؛ وحين ينتهك هذا الاعتراف من خلال الإقصاء أو التمييز، تنشأ تجربة «الإذلال» (Entehrung) التي تُهدّد الثقة في المنظومة المعيارية للمجتمع.(14)

ثالثاً ـ دائرة التضامن والتقدير الاجتماعي:

تُمثّل دائرة التضامن المستوى الأرقى في بنية الاعتراف؛ إذ يتعلق الأمر هنا بالتقدير الاجتماعي الذي يحظى به الفرد بوصفه عضواً فاعلاً ومُسهِماً في المجتمع. وهذا الاعتراف يُؤسّس ما يُسميه هونيث «تقدير الذات» (Selbstschätzung). وحين تغيب دائرة التضامن، تنشأ تجربة الاحتقار الاجتماعي التي تُدفع بها الجماعات المهمّشة إلى الصراع والمطالبة بمكانتها الاجتماعية.(15)

المبحث الرابع ـ الصراع من أجل الاعتراف – الديناميكيات والآفاق:

4.1 الصراع الاجتماعي كمحرك أخلاقي:

تُشكّل فكرة الصراع من أجل الاعتراف العمود الفقري لمشروع هونيث الفلسفي والسوسيولوجي؛ فخلافاً للتصورات الاجتماعية التي ترى في الصراع ظاهرةً سلبيةً يجب احتواؤها والحدّ منها، يُقدّم هونيث تصوّراً جذرياً مختلفاً يرى فيه الصراعَ شرطاً إيجابياً للتطور الأخلاقي للمجتمع. فالحركات الاجتماعية الكبرى، من نضال الطبقة العاملة في القرن التاسع عشر إلى حركات حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الأقليات في القرن العشرين، يمكن فهمها في ضوء نظرية هونيث لا بوصفها صراعات مصالح اقتصادية فحسب، بل بوصفها مطالبةً بالاعتراف الرمزي والأخلاقي. وهذا ما يُتيح نظريةً أغنى وأشمل من التفسيرات المادية الضيقة.(16)

4.2 تجارب الاحتقار كمحرّك للصراع:

يُطوّر هونيث مفهوم «تجارب الاحتقار» (Missachtungserfahrungen) كنقطة انطلاق لفهم الدوافع الأخلاقية للصراع الاجتماعي؛ فتجارب الإهانة والتمييز والإقصاء والازدراء ليست مجرد وقائع موضوعية أو انتهاكات قانونية محددة، بل هي تجارب حية عميقة تمسّ صميم الهوية الشخصية وتُهدّد الثقة بالنظام الأخلاقي للعالم الاجتماعي. وحين تنتشر هذه التجارب وتأخذ طابعاً جماعياً مشتركاً، تُشكّل بذرة الوعي النقدي والمقاومة الجماعية. فالثورات الاجتماعية والانتفاضات الشعبية لا تنشأ من العدم، بل تراكمت في رسوبها تجاربُ إهانة عميقة تجاوزت حدود الاحتمال.

وهنا يُقدّم هونيث نموذجاً سيكو- سوسيولوجياً أعمق مما يُقدّمه هابرماس في تحليل الدوافع الاجتماعية للتغيير.(17)

4.3 هونيث وقراءة الناصر عبداللاوي:

لم يكن الناصر عبداللاوي بعيداً عن هذه المعالجة الفلسفية العميقة؛ فقد تعامل في أعماله المتعددة مع إشكاليات الاعتراف والهوية والصراع من منظور نقدي عربي يُحاور الفكر الأوروبي دون أن ينصهر فيه. ففي كتابه : « الهوية والتواصلية» يُشير بوضوح إلى أن الأزمة التي يُشخّصها هونيث في مجتمعات الحداثة الغربية لها أصداء عميقة في المجتمعات العربية التي تعيش صراعات معقدة على الهوية والانتماء والاعتراف.(18)، وفي كتابه : «نحو إتيقا تحررية» يذهب عبداللاوي إلى أبعد من ذلك، مُطالِباً بأخلاق تحرّرية تنبع من شروط العالم المعيش العربي بكل ثقله الثقافي والتاريخي، لا أخلاق مستوردة تُطبَّق تطبيقاً انتقائياً على واقع مختلف. وهنا يُبدي عبداللاوي وعياً نقدياً بمخاطر التبعية الفلسفية وإمكانيات التجاوز الإبداعي.(19)

المبحث الخامس ـ هابرماس وهونيث – الاستمرارية والتجاوز:

5.1 مناطق الالتقاء والمشترك:

لا يمكن فهم العلاقة بين هابرماس وهونيث على أنها علاقة تضاد وتناقض صريح، بل ثمة مناطق مشتركة عميقة تُعبّر عن استمرارية المشروع النقدي:

أولاً: كلاهما يُؤمن بالإمكانات التحررية الكامنة في الحداثة، رافضاً التشاؤم المطلق الذي وسم الجيل الأول للمدرسة النقدية. فالحداثة، في نظرهما معاً، مشروع لم يكتمل ولا يزال ينطوي على وعودٍ لم تتحقق.

ثانياً: كلاهما ينطلق من معيارية كونية؛ فهابرماس يُؤسّس معياريته على كونية الادعاءات الصلاحية (Geltungsansprüche)، وهونيث يُؤسّسها على كونية الحاجة إلى الاعتراف. وفي كلتا الحالتين، يتجاوزان الخصوصية الثقافية المطلقة في

اتجاه أُفُق معياري عالمي.

ثالثاً: كلاهما يرفض ردّ الإشكاليات الاجتماعية إلى البنى الاقتصادية المادية وحدها، محتفظاً بمكانة مستقلة للبنى الرمزية والأخلاقية والثقافية.(20)

5.2 مناطق التوتر والاختلاف:

بيد أن ثمة اختلافات جوهرية تُميّز مشروع هونيث عن مشروع هابرماس:

على الصعيد الأنثروبولوجي، يفترض هابرماس فاعلاً لغوياً عقلانياً قادراً على التجريد والتبرير، في حين يفترض هونيث فاعلاً نفسياً-اجتماعياً تُشكّله حاجات الاعتراف قبل أن تُشكّله القدرات اللغوية. وهذا الاختلاف في الأنثروبولوجيا الفلسفية يُنتج آثاراً عميقة على المستويات النظرية الأخرى. وعلى صعيد تشخيص الأمراض الاجتماعية، ينصبّ اهتمام هابرماس على «استعمار العالم المعيش» من قِبَل منطق النسق، في حين يرى هونيث أن الأمراض الاجتماعية الأكثر حدةً وجوهريةً هي تلك المرتبطة بانعدام الاعتراف وهشاشة الهويات الجماعية. هذا التحوّل من تشخيص فرداني إلى تشخيص هوياتي هو الذي يُضفي على مشروع هونيث راهنيته وحضوره في الجدل السياسي المعاصر.(21)

5.3 التجاوز بوصفه استكمالاً لا قطيعة:

خلاصة القول إن مشروع هونيث يُمثّل تجاوزاً داخلياً للعقلانية التواصلية لا تجاوزاً خارجياً؛ فهو لا يرفض أُسُس المشروع الهابرماسي بل يُكمّله ويُصحّحه من الداخل. فبينما أسّس هابرماس بنيةً نظريةً راسخةً لمعيارية العقل الاجتماعي، يأتي هونيث ليملأ ثغراتها بإعادة الاعتبار للبعد النفسي والعاطفي والهوياتي. ويمكن القول تبعاً لذلك إن الانتقال من العقلانية التواصلية إلى أخلاقيات الاعتراف ليس انقطاعاً في المسار النقدي بل هو إغناء وتوسيع لأُفُق المشروع النقدي نفسه: الانتقال من أخلاق شكلية إجرائية إلى أخلاق مادية تنطلق من تجارب الإهانة وتستهدف توسيع دوائر الاعتراف لتشمل كل الفئات الاجتماعية المهمّشة.(22)

الخاتمـــــــــة:

أبرزت هذه الدراسة التوتر المُثمر والحوار الفلسفي العميق الذي يحكم العلاقة بين العقلانية التواصلية عند هابرماس وأخلاقيات الاعتراف عند هونيث. وقد تبيّن أن هذا الانتقال لا يُشكّل قطيعةً أبستيمولوجيةً بالمعنى الكامل، بل هو أقرب إلى استكمال نقدي إبداعي يُعمّق منطق المشروع النقدي ذاته ويُوسّع آفاقه المعيارية.

وقد كشفت الدراسة أن نقطة الضعف الأساسية في مشروع هابرماس تكمن في شكلانيته الإجرائية وتجريده للفاعل الاجتماعي من أبعاده العاطفية والهوياتية، وهو ما

تدارك هونيث معالجته عبر نظرية الاعتراف. غير أن هذا لا ينفي عمق الإسهام الهابرماسي في إعادة تأسيس العقل على قاعدة تواصلية تتجاوز أحادية العقل الأداتي.
كما أبرزت الدراسة الدور المحوري للمفكر العربي الناصر عبداللاوي في محاورة هذين المشروعين من موقع فلسفي عربي نقدي، مُبيّناً حدود توظيفهما في السياق العربي ومُطالِباً بأخلاق تحررية تنبثق من المعيش الاجتماعي العربي ذاته.
وتُفضي هذه الخلاصات إلى نتيجة جوهرية مفادها أن المشروع النقدي في الفلسفة الاجتماعية لا ينمو إلا بالتوتر الداخلي والمساءلة المستمرة، وأن الاعتراف المتبادل الذي دعا إليه هونيث هو في حدّ ذاته نموذجٌ للعلاقة المُثمِرة بين الفلاسفة والمدارس الفكرية المتعاقبة.

التوصيات:

في ضوء ما توصّلت إليه هذه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات الآتية:
ـ تعزيز الدراسات الفلسفية العربية المتعلقة بالجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت، ولا سيما أعمال هونيث وأكسل فيرت وراينر فورست، نظراً لما تطرحه من إشكاليات بالغة الصلة بالمجتمعات العربية المعاصرة.
ـ استثمار نظرية الاعتراف في البحث الأكاديمي العربي بما يُسهم في تأطير الصراعات الاجتماعية والسياسية العربية في ضوء إطار معياري وأخلاقي متطور.
ـ تشجيع ترجمة الأعمال الفلسفية الأساسية لأكسيل هونيث إلى العربية، وإتاحتها للباحثين والطلاب في الجامعات العربية.
ـ إجراء دراسات تطبيقية تُوظّف مفاهيم الاعتراف الثلاثة (الحب، الحقوق، التضامن) في تحليل واقع الهامش الاجتماعي والأقليات والمرأة في المجتمعات العربية.
ـ تعميق الحوار الأكاديمي مع مسار الناصر عبداللاوي الفلسفي، وإدراج أعماله في المناهج الدراسية لأقسام الفلسفة في الجامعات العربية.
ـ العمل على تطوير نظرية عربية في الاعتراف والعدالة الاجتماعية تستوعب الإرث الفلسفي الإسلامي جنباً إلى جنب مع المنجزات الفلسفية الغربية المعاصرة.

بيان تضارب المصالـــح:
يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــــش:

(1) هوركهايمر، ماكس وأدورنو، تيودور. جدلية التنوير. ترجمة جورج كتورة. دار الكتاب الجديد، بيروت، 2006.
(2) هابرماس، يورغن. نظرية الفعل التواصلي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2016. الجزء الأول، ص 99.
(3) Habermas, Jürgen. The Theory of Communicative Action, Vol. I. Beacon Press, Boston, 1984, p. 8.
(4) Habermas, Jürgen. Moral Consciousness and Communicative Action. MIT Press, Cambridge, 1990, p. 86.
(5) عبداللاوي، الناصر. الأخلاق والقانون في تفكير هابرماس. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010. ص 73.
(6) عبداللاوي، الناصر. الهوية والتواصلية. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012. ص 145.
(7) عبداللاوي، الناصر. الأخلاق والقانون في تفكير هابرماس. مرجع سابق. ص 89.
(8) Honneth, Axel. The Struggle for Recognition. MIT Press, Cambridge, 1995, p. 25.
(9) عبداللاوي، الناصر. نحو إتيقا تحررية. دار ضفاف، بيروت، 2025. ص 33.
(10) Fraser, Nancy & Honneth, Axel. Redistribution or Recognition? A Political-Philosophical Exchange. Verso, London, 2003, p. 134.
(11) Honneth, Axel. The Struggle for Recognition. MIT Press, Cambridge, 1995, p. 92.
(12) Ibid., p. 71.
(13) هونيث، أكسيل. الصراع من أجل الاعتراف. ترجمة حسن العمري. دار التنوير، بيروت، 2014. ص 143.
(14) هونيث، أكسيل. المرجع نفسه. ص 157.
(15) هونيث، أكسيل. المرجع نفسه. ص 163.
(16) Fraser, Nancy & Honneth, Axel. Redistribution or Recognition? Verso, London, 2003, p. 243.
(17) Honneth, Axel. The Struggle for Recognition. MIT Press, Cambridge, 1995, p. 131.
(18) عبداللاوي، الناصر. الهوية والتواصلية. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012. ص 198.
(19) عبداللاوي، الناصر. نحو إتيقا تحررية. دار ضفاف، بيروت، 2025. ص 57.
(20) Habermas, Jürgen. The Theory of Communicative Action, Vol. II. Beacon Press, Boston, 1987, p. 113.
(21) Honneth, Axel. The Struggle for Recognition. MIT Press, Cambridge, 1995, p. 168.
(22) ريكور، بول. مسارات الاعتراف. غاليمار، باريس، 2004. ص 221.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

هونيث، أكسيل. الصراع من أجل الاعتراف. ترجمة حسن العمري. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2014.
هابرماس، يورغن. نظرية الفعل التواصلي. ترجمة فاطمة الجيوشي ومحمد كتبي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2016. الجزءان الأول والثاني.
هابرماس، يورغن. القانون وأخلاقيات النقاش. ترجمة نجيب الحصادي. الدار البيضاء، 2003.
هوركهايمر، ماكس وأدورنو، تيودور. جدلية التنوير: شذرات فلسفية. ترجمة جورج كتورة. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2006.
ريكور، بول. مسارات الاعتراف. ترجمة محمد القاضي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2011.
عبداللاوي، الناصر. الأخلاق والقانون في تفكير هابرماس. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010.
عبداللاوي، الناصر. التواصل والحوار: أخلاقيات النقاش. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010.
عبداللاوي، الناصر. الهوية والتواصلية. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012.
عبداللاوي، الناصر. نحو إتيقا تحررية. دار ضفاف للنشر والتوزيع، بيروت، 2025.
فريزر، نانسي وهونيث، أكسيل. التوزيع أم الاعتراف؟ حوار فلسفي سياسي. ترجمة كمال بومنير. دار التنوير، بيروت، 2010.

ثانياًـــ المراجع الأجنبية

Habermas, Jürgen. The Theory of Communicative Action. Vol. I: Reason and the Rationalization of Society. Translated by Thomas McCarthy. Beacon Press, Boston, 1984.
Habermas, Jürgen. The Theory of Communicative Action. Vol. II: Lifeworld and System. Translated by Thomas McCarthy. Beacon Press, Boston, 1987.
Habermas, Jürgen. Moral Consciousness and Communicative Action. Translated by Christian Lenhardt & Shierry Weber Nicholsen. MIT Press, Cambridge, 1990.
Habermas, Jürgen. Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy. MIT Press, Cambridge, 1996.
Honneth, Axel. The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflicts. Translated by Joel Anderson. MIT Press, Cambridge, 1995.
Honneth, Axel. Disrespect: The Normative Foundations of Critical Theory. Polity Press, Cambridge, 2007.
Honneth, Axel. The I in We: Studies in the Theory of Recognition. Polity Press, Cambridge, 2012.
Fraser, Nancy & Honneth, Axel. Redistribution or Recognition? A Political-Philosophical Exchange. Verso, London, 2003.
McCarthy, Thomas. The Critical Theory of Jürgen Habermas. MIT Press, Cambridge, 1978.
Ricoeur, Paul. The Course of Recognition. Translated by David Pellauer. Harvard University Press, Cambridge, 2005.
Horkheimer, Max & Adorno, Theodor W. Dialectic of Enlightenment: Philosophical Fragments. Translated by Edmund Jephcott. Stanford University Press, Stanford, 2002.